هربرت سيمون والعقلانية المحدودة

تقديم

تعد نظرية العقلانية المحدودة من أهم المساهمات الفكرية في علم التنظيم والسلوك الاداري خلال القرن العشرين، وقد إرتبطت أساسا بهربرت سيمون أحد أبرز منظري الادارة الحديثة، والحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1978 تقديرا لاسهماته في فهم عملية اتخاذ القرارات داخل المؤسسات

جاءت أفكار سايمون كرد فعل نقدي عللى التصورات الكلاسيكية للعقلانية المطلقة التي سادت في النظريات الكلاسيكية، والتي كانت تفترض أن الأفراد يتخذون قرارات مثالية بناء على معلومات كاملة وأهداف واضحة.

أولا: التعريف بالشخصية:

كلود هنريدوروفروي،كونت سان سايمون Claude Henri de Rouvroy,Comte de saint -Simon

هو أحد الرواد المؤسسين للفكر الاجتماعي الحديث، ويمثل إحدى أهم الشخصيات التي سبقت ظهور علم الاجتماع بوصفه علما مستقلا،ولدسنة1760 في باريس، وعرف في بداياته بانتمائه إلى الطبقة الارستقراطية الفرنسية،لكنه سرعان ما ابتعد عن جذوره الاقطاعية ليصبح من أشد المدافعين عن التغيير الاجتماعي والعلمي في أروبا. يعد سان سايمون من أوائل المفكرين الذين دعوا إلى بناءعلم للمجتمع على أسس منهجية، وهو ماجعله يصنف في الأدبيات الاجتماعية كرائد أولي لعلم الاجتماع قبل دروكايم وكونت،وقد تأثر به مباشرة أوغست كونت الذي عمل سكريترا له لفترة من الزمن، واستلهم منه فكرة إنشاء علم للطبيعة الاجتماعية.أمانزعته فتحدد في:النزعة العلمية والتقنية: رأى سايمون أن تقدم المجتمع لايتحقق إلا من خلال العلم والصناعة، وأن الطبقة التي يجب أن تقود المجتمع الحديث هي العلماء والمهندسون والصناعيون وليس الارستقراطية أو رجال الدين.

الدعوة إلى تنظيم المجتمع على أساس الانتاج: دعا إلى مجتمع صناعي تحدد فيه المكانة الاجتماعية بناء على المنفعة والانتاجية وليس الوراثة أو النسب.

النزعة الانسانية: كان يرى أن الهدف النهائي للتنظيم الاجتماعي هو تحسين ظروف الطبقات الفقيرة،وأن التقدم العلمي ينبغي أن يوجه لخدمة الانسان.

الفكر الاشتراكي الطوباوي:يعتبر سان سايمون أحد مؤسسي الاشتراكية الطوباوية ،حيث طرح تصورا لمجتمع تسوده العدالة والتنظيم العقلاني دون صراع طبقي دموي.

مكانته في التاريخ الفكري: يمثل سان سايمون مرحلة انتقالية بين الفكر الفلسفي التقليدي والعلوم الاجتماعية الحديثة. وقد أثرت أفكاره في عدد كبير من المفكرين أمثال: أوجيست كونت –مؤسس الوضعية-

كارل ماركس في رؤيته للصناعة والتنظيم،دروكايم في فكرة المجتمع القائم على التضامن الوظيفي

وبذلك يعد أحد آباء العلوم الاجتماعية وركيزة أساسية في فهم تطور الفكر السوسيولوجي في القرن التاسع عشر.

ثانيا: المنطلقات النظرية لظهور فكرة العقلانية المحدود:

نشأت نظرية سان سايمون في سياق نقد النموذج الاقتصادي الكلاسيكي الذي يفترض أن الانسان فاعل عقلاني تام يسعى لتعظيم المنفعة والربح.هذا النموذج كان في رأيه بعيدا عن الواقع لأنه يتجاهل القيود المعرفية والادراكية والتنظيمية التي تحد من قدرات الانسان في جمع المعلومات وتحليلها. وبهذا،تنع سايمون أن الانسان الواقعي داخل التنظيم لايتصرف وفق نموذج الاختيار الأمثل،بل وفق نموذج الاختيار المرضي أي القرار الكافي أو المقبول الذي يلبي الحد الأدنى من الأهداف.

ثالثا: مفهوم العقلانية المحدودة

عرف سان سايمون العقلانية المحدودة بأنها القدرة المحدودة للفرد على معالجة المعلومات بسبب القيود العرفية والزمنية والتنظيمية،مما يجعله يتخذ قرارات على أساس ماهو جيد بما فيه الكفاية وليس الأفضل. وبهذا المعنى لاتكون العقلانية انعداما للعقل ،بل تعبيرا عن تكييف الانسان مع تعقيد الواقع التنظيمي،ضمن قدراته المعرفية المتاحة

رابعا:آليات اتخاذ القرار في ضوء العقلانية المحدودة

يقترح سايمون أن عملية اتخاذ القرار تمر بثلاث مراحل أساسية:

- مرحلة البحث أو الاكتشاف: يتم فيها جمع الملعلومات عن المشكلة والبيئة التنظيمية

- مرحلة التصميم:تبنى فيها بدائل الحلول ويتم تقييمها بشكل مبدئي

- مرحلة الاختيار: يتم فيها اختيار البديل الذي يحقق الرضا وليس بالضرورة الأمثل

هذه المراحل تظهر أن القرار التنظيمي هو عملية إدارية وعقلية في آن واحد وأنه متأثر بالسياق الثقافي والتنظيمي للفرد والمؤسسة.

خامسا: منطق الارضاء بدلا من التحسين

طرح سايمون مفهوم الارضاء أي متخذ القرار يسعى إلى ايجاد حل يرضيه ضمن الحدود الواقعية، بدلا من السعي وراء الحل الأمثل المستحيل في ظروف معقدة، وهو بذلك يقترح أن القرارات التنظيمية ليست قرارات عملية بحتة،بل قرارات انسانية اجتماعية تتداخل فيها القيم ، العادات، والمصالح، وحدود المعلومات

سادسا،العقلانية المحدودة والمنظمة كنظام اجتماعي:

لم ينظر سايمون إلى المنظمة كبنية تقنية فقط، بل كنظام اجتماعي معرفي يتأثر فيه القرار بعوامل إنسانية مثل الخبرة، والتنشئة والاتصال والسلطة.

فالمؤسسة لاتنتج قرارات عقلانية خالصة لأن أفرادها يعملون وفق تصورات ومعايير جزئية،مما يجعل التنظيم ذاته ساحة للتفاوض والتأويل.

سابعا:الأثر النظري والتطبيقي لنظرية سايمون:

كان لنظرية العقلانية المحدودةتأثير واسع في مجالات متعددة منها

- في التنظيم والادارة: ساهمت في تأسيس مداخل السلوك التنظيمي ونظرية القرار الاداري

- في الاقتصاد:

مهدت لظهور الاقتصاد السلوكي الذي يدمج علم النفس في تحليل القرارات الاقتصادية

في علم الاجتماع:فتحت الباب أمام دراسة القرار كظاهرةاجتماعية مشروطة بالبنية الثقافية والمؤسسية

ثامنا: نقد العقلانية المحدودة:

رغم أهميتها تعرضت نظرية سان سايمون لعدة انتقادات:

- غموض في تحديد حدود العقلانية: اذ يصعب تحديد مدى الحدود في السياقات المختلفة

- اهمال البعد السياسي: لان القرار داخل التنظيم لايعتمد فقط على المعارف،بل أيضا على الصراع والمصالح

-الافتراض بأن الأفراد يسعون دائما للارضاء: هوتبسيط قد لاينطبق في حالات المنافسة أو الهيمنة

ومع ذلك تبقى نظرية سان سايمون من أكثر النظريات مرونة وواقعية في فهم السلوك التنظيمي

تاسعا:اسقاطات على التنظيمات الحديثة:

في ظل تعقيد التنظيمات المعاصرة،التي تعتمد على الذكاء الصناعي، والبيانات الضخمة،والتحول الرقمي فإن فكرة العقلانية المحدودة تكتسب بعدا جديدا.فالقيادات الحديثة تواجه وفرة معلومات تفوق قدرتها على المعالجة ،مما يعيد التأكيد على مركزية القرار المرضي كآلية توازن بين العلاقينة والتعقيد.

خاتمة:

تبرز نظرية هربرت سايمون أن الانسان لايتخذ قراراته في فراغ،بل داخل سياق معرفي وتنظيمي محدد.فالعقلانية المحدودة ليست ضعفا في التفكير بل استراتيجية تكيفية تحكمها ظروف الواقع.إن هذا التصور يجعل سايمون جسرا بين الاقتصاد والادارة والسوسيولوجيا،بوصفه مؤسسا لما يمكن تسميته بالعقلانية الاجتماعية في الفعل الاداري.

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...